السلف وفساد الزمان

وذكر الغزالى قال: عن سفيان الثورى أنه كتب إلى الخواص: إنك فى زمان كان أصحاب محمد ﷺ يتعوذون بالله من أن يدركوه فيما بلغنا، ولهم من العلم والفضل ما ليس لنا، فكيف بنا حين أدركناه، على قلة علم، وقلة صبر وقلة أعوان على الخير، وكدر من الدنيا، وفساد من الناس، وإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: فى العزلة راحة من خلطاء السوء. وفى مثل هذا قيل:

هذا الزمان الذى كنا نحاذره ... فى قول كعب وفى قول ابن مسعود

إن دام هذا ولم تحدث به غير ... لم يُبك ميت ولم يُفرح بمولود

دهر به الحق مردود بأجمعه ... والظلم والبغى فيه غير مردود

ولقد وجدت عن سفيان بن عيينة أنه قال: قلت للثورى: أوصنى.

قال: أقلل من معرفة الناس. قلت: يرحمك الله، أليس جاء فى الخبر: أكثروا من معرفة الناس فإن لكل مؤمن شفاعة؟ قال: لا أحسبك نلت قط ما تكره إلا ممن تعرف. قلت: أجل. ثم مات، فرأيته فى المنام فقلت: يا أبا عبد الله أوصنى. قال: من معرفة الناس، فإن التخلص منهم شديد.

وقال الفضيل: هذا زمان احفظ فيه لسانك، وأخف مكانك، وعالج قلبك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر. وعن داود الطائى رحمه الله: صم عن الدنيا، واجعل فطرك الآخرة، وفر من الناس فرارك من الأسد، قال يحيى بن معاذ: رؤية الناس بساط الرياء، وهؤلاء الزهاد قد خافوا على أنفسهم من هذا المعنى حيث تركوا الملاقاة والتزاور. ولقد ذكر أن هرم بن حيان قال لأويس القرنى: يا أويس، صلنا بالزيارة واللقاء، فقال: قد وصلتك بما هو أنفع منهما، وهو الدعاء عن ظهر الغيب، لأن اللقاء والزيارة يعرض منهما التزين والرياء، وقيل لسليمان الخواص: قدم إبراهيم بن أدهم، أفلا نأتيه؟ فقال: لأن ألقى شيطانا ماردا أحب إلى من لقائه. فاستنكر هذا القول، فقال: إنى إذا لقيته أخاف أن